

خلاصة دراسة جديدة تحمل عنوان: ملامح التربية الإسلامية في الأندلس

أ.د. لطيفة حسين الكندري

وتم نشرها في مجلة التربية - جامعة الأزهر - العدد 156 - ديسمبر 2013م

ركزت الدراسة على إبراز عطاء الحضارة الإسلامية اجتماعيا وثقافيا من منظور الفكر التربوي بحثا عن الأصالة الفكرية، والتواصل الحضاري، والابتكار التعليمي حسب مقتضيات وسنن التطور. لقد عاش المسلمون في بيئات فيها تنوع ثقافي هائل فكانوا يحكمون بلاد الأندلس لعدة قرون ويصنعون التضاريس الثقافية في أوروبا والعالم، ثم أصابهم داء الأمم؛ نار التفرق والحصام لكن آثارهم لازالت تحكي لنا سعة علمهم، وسبق فكرهم في ميادين عديدة.

يحتاج تراث الأمم العريقة إلى فرز دائم وتحليل متواصل لأن الكتب القديمة لا سيما الإسلامية منها تختلط فيها المسائل التاريخية بالفقهية بالفلسفية بالاجتماعية بالتربوية. كتب سلفنا كتبهم بأسلوب موسوعي يلبي احتياجات عصرهم. إن تبسيط التراث للغرض التعليمي والبحثي يستدعي فرز الجانب التربوي عن غيره وتحليله حسب الأدبيات التربوية المناظرة لها قديما وحديثا من جهة، وحسب سياقها التاريخي من جهة أخرى.

إن الغرض من هذه الدراسة التعريف بالإسهامات الحضارية للمسلمين في بلاد الأندلس عبر بيان ملامح التربية والتعليم هناك لأنها فترة بالغة الأهمية استمرت ثمانية قرون (92هـ-711م) إلى (897هـ=1492م). والبحث في هذا المجال مهمة معرفية ضرورية في السياق الحضاري فالأمم لا تستغني عن معاينة هويتها الثقافية وفتح فضاءات جديدة وتطعيم خطابها المعاصر. يتكون البحث من مجموعة محاور أساسية وهي مرتبطة ببيان ملامح التعليم في بلاد الأندلس، والعناية باللغة العربية، وتربية المرأة، والتربية الموسيقية.

والمنهج المتبع في هذا البحث هو المنهج الوصفي التحليلي، وسيتم التركيز على كتاب *نفع الطيب من غصن الأندلس* الرطيب لابن المقرئ التلمساني وهو كتاب زاخر بالمعلومات التاريخية ويعتمد عليه الدارسون. يتسم كتاب ابن المقرئ بالشمولية والأمانة العلمية حيث ينسب القول إلى قائله ويورد المصدر الذي استقى منه ونقل منه حتى الشعر ينسبه لقائله مما يعطي الكتاب قيمة علمية كبيرة.

## أهمية الدراسة

1. تشير دراسات كثيرة إلى أن هناك جوانب تعليمية متعددة لا تزال مجهولة بالنسبة للدارسين لا سيما عن بلاد الأندلس (أبو شعيرة، 2007م، ص 13، ريبيرا، 1994م، ص 8) وكثير من تاريخ الأندلس مطموس ولم يُحسّن عرضه، ولم تُدرس تفاصيله. إن تاريخ الأندلس يعد ثروة حقيقية من العلم والخبرة والعبرة ومن الواجب البحث في هذا التاريخ إذ هو لا يزال يحتاج لجهود بحثي كبير (السرغاني، 2011م، ج 1، ص 5-10، الفزاري، 2004م، ص 4).
2. تركز الدراسات التربوية في معظمها على المشرق العربي مما جعل التربية الأندلسية لا تحظى إلا بأقل القليل (عيسى، 1982م، ص 52، 460).
3. مسحت حركة محاكم التفتيش الكثير من تراثنا الإسلامي بإسبانيا ومن الحكمة ترتيب قراءة تلك الحقبة على ضوء المستحدثات المنشورة في هذا المجال. لقد كانت محاكم التفتيش مؤسسة ظلامية سببت انحسار العلوم والثقافة والاقتصاد (بيريز، 2012م، ص 223).
4. امتازت الأندلس بحضارة ذات ميل شديد للفنون والآداب والعلوم على الخصوص، وأنشأ المسلمون في كل ناحية مدارس ومكتبات ومختبرات، وترجموا كتب اليونان، ودرسوا العلوم الرياضية والفلكية والكيمائية والطبية بنجاح (لوبون، 2011م، ص 274). قال ابن المقري كان للدين بالأندلس من العز السامي العماد، " كانت أنبل دول الإسلام " (ج 1، ص 113، 327). يحتاج هذا إلى إبراز في ضوء معطيات الدراسات الحديثة ووفق أطر مناهج البحث.
5. دراسة الماضي أساس ثابت يمكن أن نستفيد منه لبناء الحاضر (عيسى، 1982م، ص 56) وبناء الشخصية العربية الإسلامية القادرة على الابداع الفكري. "إننا اليوم بحاجة ماسّة إلى إحياء ما درس من معالم ثقافتنا، وتبيان ما طمس من آثارها. والكشف عن منابع الحق فيها، نستخرج منها ذكريات العزة، وصفحات المجد، وآيات الفخار" (دنيا، 1986م، ج 1، ص 8). التراث روح الأمم وذاكرتها الأمانة وهويتها الرصينة، فإن إحياء وحماية الألفاظ من الضياع والنسيان والتحريف والانقراض ضرورة من ضرورات البقاء والتطور (الكندري، 2013م، ص 65).
6. بيان الاسهامات الإسلامية للمجتمع الإنساني لتشجيع الحوار العلمي بين الثقافات ونشر فكر التسامح والتقارب والتعايش .

## أسئلة الدراسة

1. ما أبرز ملامح التربية عند أهل الأندلس استنادا لكتاب نفح الطيب لابن المقري؟
2. إلى أي مدى كانت عناية الأندلسيين باللغة العربية؟

3. إلى أي مدى نالت المرأة الأندلسية حقها التعليمي؟

4. كيف اهتم الأندلسيون بالتربية الموسيقية؟

### منهج الدراسة

منهج الدراسة هو المنهج الوصفي التحليلي المعتمد على خطوات محددة في عددها منظمة في موضوعاتها توجه البحث وتعين على استنباط المضامين ذات الصلة بأسئلة البحث والمعنية ببيان ملامح التربية الأندلسية في كتاب نفح الطيب لابن المقري. ولكي تستبين ملامح الحياة التربوية والتعليمية واستكشاف واشتقاق جوانب التميز سيتم مناقشة أفكار ابن المقري المتشعبة في ضوء الأدبيات الفكرية القديمة والمعاصرة.

وتعتمد هذه الدراسة على الكتب التاريخية المعنية بتاريخ الأندلس وعلى رأسها كتاب نفح الطيب من غصن الأندلس للطيب للمقري التلمساني فهذا الكتاب أكبر موسوعة عن الأندلس (خلف، 2012م، ص 77). ورد في مقدمة كتاب نفح الطيب بقلم المحقق أننا يجب أن نعتز بفضل كتاب ابن المقري حيث سخر مادة الكتاب العلمية لتصوير الحياة السياسية والاجتماعية والأدبية بالأندلس بصورة لا نجدها في كتاب آخر (ج1، ص 18). ولا يقتصر البحث على معطيات كتاب ابن المقري لكنه سيتوسع عبر الاستفادة من البيانات الموثوقة في كتب قديمة أو معاصرة علما بأن الدراسة الحالية تقتصر على الموضوعات الواردة في أسئلة البحث فقط.

### أبرز النتائج

1. جمع ابن المقري بين دفتي كتابه "الغصن الرطيب" مجموعة كبيرة من الإشارات التربوية. مادة كتاب نفح الطيب لابن المقري مادة علمية تصور جوانب مضيئة حضارية في الحياة التربوية والتعليمية بالأندلس وبصورة غزيرة وعبارات جزلة رغم الإسراف أحيانا في استخدام السجع.
2. الكثير من الأمراء والوجهاء في الأندلس كانوا من محبي المعرفة وناصر العلماء مما قلص درجة التشدد الديني، وشجع طابع التنوع الثقافي.

3. تفنن أهل اللغة العربية وأبدع معلموها في تدريس الشعر وتجديد أسلوب البحث والفهم والتحليل وحل المشكلات، فكانوا أقرب إلى تحصيل هذه الملكة وتعليمها والابداع في وضع الموشحات والزجل والمنظومات.
4. للأندلسيين عناية بتربية الطفل ومنهجه الدراسي وتنوع العلوم في ضوء قدراته واحتياجاته والواقع الاجتماعي.
5. ساهمت المرأة في الحياة الثقافية في بلاد الأندلس وقد اشتهر عدد كبير منهن وأبدعن في مجال الشعر وحب الأدب والغناء وإنشاء المجالس الأدبية من مثل ولادة بنت الخليفة المستكفي وغيرها.
6. من دلائل التوفيق في كتابات ابن المقري أنه خصص شطرا غير قليل من كتاباته لتتبع ابداعات المرأة. المرأة حينئذ لم تدون المؤلفات والكتب فغابت عن ميدان مهم.
7. ساهم زرياب بفكره التربوي في تطور الموسيقى الأندلسية والارتقاء بها نحو العالمية ونقل لها ميراث المشرق وطوره تطورا لا نظير له. وفي عهد زرياب تم تطوير التربية الموسيقية برمتها.
8. يعتقد ابن المقري إنما أفسد العلم كثرة التواليف وذلك أن التأليف نسخ الرحلة التي هي أصل في تحصيل جميع العلوم ووسيلة عملية لتنمية ونضج شخصية المتعلم.
9. من الأهمية بمكان التعريف بالإسهامات الحضارية للمسلمين في بلاد الأندلس عبر بيان ملامح التربية والتعليم هناك لأن "الحرفيات المعرفية" تدل على أنها فترة بالغة الأهمية في الفكر التربوي الإسلامي وهي مهمة ثقافية ضرورية في السياق الحضاري المعاصر.
10. من الانصاف أن ندرك أن الحضارة في الأندلس متميزة ومبدعة استفادت من الجميع إلا أنها لم تقلد الشرق المسلم أو الغرب النصراني في كل أمر بل كانت لحنا جميلا مستقلا.
11. بلغت الحضارة العربية الإسلامية أوج مجدها في بلاد الأندلس فقدمت طائفة من العلماء سطعوا في سماء المعرفة وأضافوا لسجل الثقافة الكثير من الابداعات.

## التوصيات

1. تلهمنا التربية الأندلسية طرق الابداع في شتى الميادين النظرية والعملية ويجب أن نتعلم منها أن نربي الذات الإسلامية المنفتحة على العلوم والفنون والآداب، وأن نجعل كل مدينة من مدننا العربية والإسلامية منارة من منارات العلم والعمران والإيمان والألحان.
2. استثمار التربية الأندلسية في تدريس مقرر تطور الفكر التربوي الإسلامي عبر توسيع نطاقه، والابداع في عرضه، وتوظيفه في مجالات الحياة.
3. تبني المنهج العلمي في التفكير واعمال العقل واعداد الحياة. إن التقدم العلمي والعقل التجريبي والبحث والتحليل من سمات التربية الأندلسية التي نحتاج إليها في عصر تكشف فيه الاختبار الدولية عجز طلبتنا في العلوم والرياضيات بل وحتى القراءة.
4. العناية بالموسيقى وتنويع مساراته لتهديب الفكر واعداء شأن الحضارة وكشف الإبداعات الاسلامية بعيدا عن جمود التشدد الديني.
5. تبصير المعلمين عبر دورات متخصصة بإبداعات المسلمين في شتى العلوم وسبل تطويرها وغرسها في جيل الشباب.